

### نقطة تحول على الصعيد العالمي؟ إرساء الاستقرار في أفغانستان منذ ٢٠٠١

الدكتور مارك سيدرا

رئيس مجموعة Security Governance Group وباحث في كلية بالسيبي للشؤون الدولية

- كان التدخل الدولي في أفغانستان بمثابة نقطة تحول في الفكر الدولي حول عمليات إرساء الاستقرار المدعومة من الخارج في الدول التي تضربها الصراعات والدول الهشة. فقد تنامت بسببه الشكوك بين بعض من المناصرين التقليديين لهذه الفكرة.
- لم يعاني مشروع إرساء الاستقرار وبناء الدولة في أفغانستان من عدم تحقيق نتائج على الأرض وحسب، وإنما تسبب أيضاً في تفاقم اضطراب الاستقرار وظهور انقسامات جديدة جراء الصراع في بعض المناطق.
- ترجع النتائج المخيبة للآمال لهذه العملية في أفغانستان إلى عاملين.
  1. غياب الشروط المسبقة الملائمة لتنفيذ مهمة متكاملة لإرساء الاستقرار ومنها: بيئة أمنية مواتية؛ والحد الأساسي من إمكانيات الحكم المحلي؛ وإرادة سياسية حقيقية لإحداث التغيير بين الأطراف المعنية المحلية والخارجية الرئيسية؛ والتزام دائم بتوفير الموارد من جانب الأطراف الخارجية.
  2. سوء تنفيذ أنشطة إرساء الاستقرار الجوهرية من جانب الأطراف المعنية الداخلية والخارجية الرئيسية.
- تستخلص ورقة العمل ستة دروس مستفادة أساسية من تجربة إرساء الاستقرار الأفغانية، والتي يمكن استخدامها على الأرجح لزيادة فعالية البرامج في السياقات المشابهة.
  1. فهم السياق: لم تفهم الجهات المانحة المعنية بإرساء الاستقرار في أفغانستان الجوانب السياسية وعلاقات القوة المعقدة في البلاد فهماً كاملاً، ولا سيما شبكات المحاباة والمحسوبية الممتدة في جميع أرجاء المجتمع الأفغاني. ساهم ذلك في سوء تصميم البرامج والإستراتيجيات بما جعلها لا تتوافق مع الحقائق على الأرض.
  2. تحفيز المناخ السياسي: بالرغم من الإقرار الواسع بأن إرساء الاستقرار هو عملية سياسية في جوهرها إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية والشركاء الدوليين والمحليين الرئيسيين لها فشلوا في تبني إستراتيجية سياسية مُحكمة ودقيقة لغرس وتحفيز الإرادة السياسية المحلية للتغيير.
  3. إعطاء الأولوية لنظم الحكم: يرى قطاع واسع من الأفغان أن مؤسسات الدولة التي لا تقوم بوظائفها والفائتة على الاستغلال أشد خطراً من طالبان وغيرها من الجماعات
- المسلحة المناهضة للحكومة. وكانت نتيجة فشل عملية إرساء الاستقرار في تحقيق نتائج ملموسة على الأرض في نظم الحكم وتوفير الخدمات حرمان غالبية الأفغان من فوائد السلام ونزع غطاء الشرعية عن النظام السياسي الجديد.
- 4. عندما نتحدث عن المعونات، فإن القليل قد يكون كثيراً: قدّم المجتمع الدولي مبالغ هائلة من المعونات إلى أفغانستان؛ أكثر بكثير من قدرة الدولة الأفغانية على استيعابه وصرفه. وتسببت هذه المبالغ الهائلة دون قصد في نمو الفساد والمحسوبية، وحتى تأجيج التمرد.
- 5. تجنب إغراء الإصلاحات السريعة: أدى التركيز الدائم على المكاسب السريعة، والميل لنشر الأفراد لفترات قصيرة، ونقص التركيز على الاستدامة في المعونات وبرامج الإصلاح إلى تقويض عملية إرساء الاستقرار منذ بدايتها.
- 6. التركيز على الثمار الدائمة أولاً: استهدفت عملية إرساء الاستقرار في أفغانستان المناطق الأكثر اضطراباً وأقل استقراراً في البلاد أولاً، على أمل أن يؤدي ذلك إلى توجيه ضربة قاصمة للتمرد الذي تقوده طالبان. وكان للعجز في إقرار تقدم في هذه المناطق الصعبة تأثير معاكس تمثل في إصابة العملية كلها بالشلل. لو كانت عملية إرساء الاستقرار استهدفت المناطق الأكثر أماناً وأفضل أداءً في المرحلة المبكرة من تنفيذها وحققَت نجاحات ظاهرة يمكن تروبقها بين المناطق الأكثر خطورة من البلاد، فإنها ربما كانت أحدثت تأثيراً أكثر عمقاً.

عندما تتراجع الأطراف التقليدية المعنية بالاستقرار عن هذا النهج، فإن هناك فرصاً لأطراف أخرى، ومنها المنظمات الإقليمية، لإنعاشه ووضع بصمتها عليه.

الجهات الإقليمية تتميز بمعرفة السياق المحلي ورأس المال السياسي الموجود في الدول المستهدفة، وهو ما يغيب في الغالب عن الأطراف الدولية.

هذه مرحلة بالغة الأهمية للانتقال والتغيير في مفهوم إرساء الاستقرار ومجال السلام والأمن عموماً؛ وهناك نقاط بدء واضحة المعالم للأطراف المعنية الجديدة وحاجة لتقديم أفكار جديدة.